

مكانة المنهجية التكنولوجية للمجموعات الصناعية خلال فترة ما قبل التاريخ

د / عمر قلمايوي

ان الصراع مع الادوات التي ترجع الى فترة ما قبل التاريخ و حسب فهمها يدفعنا منذ اول وهلة الى طرح سؤال رئيسي الا وهو : كيف تمت عملية تشظية وصنع هذه المجموعات الصناعية ؟.

فمعرفة الجانب التكنولوجي لكل عنصر من هذه المجموعات الصناعية بواسطة المناهج المتخذة و المتسلسلة ، أي تلك التي يسطرها الصانع و التقرب من مختلف طرق الحفر تعد من الاهتمامات في مجال البحث الاثري الحديث.

تعتمد الدراسة في هذا الميدان على قراءة تكنولوجية لقطعة ما التي يمكن ان نعرفنا من خلال البصمات الباقية (النشول) على مختلف المراحل التقنية التي قام بها الصانع. و لانجاز هذه الاداة كان لابد ان يتخذ طريقة خاصة عند تشكيلها و بالتالي يقوم بوضع تسلسل كرونولوجي و ذهني في نفس الوقت حتى يتمكن من الحصول على مرفولوجية ما.

تلكم هي البقايا التي ينشدها الانسان البدائي لتحقيق و تزويد حاجته الرئيسية المادية منها و الفكرية.

ويتمحور عملنا هذا على نقطتين رئيسيتين : الدراسة العلمية لانتاج صناعة الانسان البدائي والنشاط العلمي لباحث ما قبل التاريخ.

وعلى هذا الاساس يجب علينا قدر المستطاع محاولة الاجابة عن عدد من التساؤلات و المشاكل التي تنجز عنها :

1 - كيف كان تصور إنسان ما قبل التاريخ اداة ما

وكيف يمكن للانسان الحالي إدراكها.

2 - كيف يمكن الحصول على هذه الاداة عن طريق اجراء عملية التنقيب.

3 - كيف يمكن القيام بإحصاء لما تقدمه لنا.

4 - كيف تتم دراستها.

5 - كيف يتم فهم المصطلح الأثري.

ما معنى اداة ماقبل التاريخ.

تعتبر الادوات التي قام بصنعها انسان ماقبل التاريخ من الانجازات القصدية اي سابقة التصوير ، بحيث تعد من العلامات الجوهرية للإشارة عن قمه بلوغ درجه الاتقان وكذا مكانته ضمن الفصيلة الانسانية. وعلى اثر ذلك فانه من المستحيل ان نصل الى فهم تفكير صانع ماقبل التاريخ عند انجازه المجموعات الصناعية ، وبالتالي معرفه التقرير الحقيقي بين هاذين العنصرين اي الانسان و الاداه.

فمهمتنا تكمن اذا في محاولة التقرب وتفهم مختلف تصوراته دون ان نحقق بطبيعة الحال اغراضه الشخصية التي لا يمكن الوصول اليها ابدا.

لقد انجزت هذه الاداة إذا لبعض الاغراض منها مثلا : القطع ، الكشط ، الصقل ، الثقب ، الضرب و الصيد ... وهذا ربما للاستجابة لاحدى المشاكل التي كانت بحاجة اليها افراد المجموعه السكنية.

فصانع ماقبل التاريخ كان باستطاعته صنع و انتاج هذه الادوات بكمية كبيرة وبالتالي تعليم طريقه العمل الى بقيه الافراد الاخرين . ومن هناك تصبح المجموعة الصناعية عبارة عن منهج متبع منفرد فقط يعكس صورته نموذجيه لنمط معيشي فرضت عليه أوضاع ايكولوجيه ما.

ونتيجة لهذا ، يقوم المركب الصناعي لمجموعة بشريه ما

التي ترجع الى فتره ما قبل التاريخ على محتوى مفهوم ضغط الوسط المعيشي بمعنى التغيير المفاجئ للمحيط متبوع باجابه مباشره مطابقه للمظهر السائد والوضع المغاير للاطار التقليدي العام أي اختيار مسبق من بين الحلول الممكنه للمشاكل الرئيسيه و إيجاد توازن للفصيله السكانيه داخل محيط ما.

اما من جهه اخرى يمكن حصر بعض العلامات المميزه لمعرفه أسس تقنيات تشظيه الصخور وكذا مرفولوجيه اداه ما بواسطه ثلاثه عناصر رئيسية :

1 - التقنيات : مثل الطرق المباشر أو الغير تامباشر بواسطه الطرق المعدني او الحيواني (عظام ، عاج ، خشب ، قرن) او النباتي. لذا يمكن بهذه المواد فهم هذه التقنيات التي استعملها الصانع ثم محاوله لمس رموز وبصمات ايديه.

2 - الطرق : وهي عباره عن محاوله اعاده ترتيب مختلف المراحل التقنيه بواسطه تسلسل معقول و منطقي لانجاز نوع من أنواع الادوات.

3 - الاسلوب : طبيعه خاصه شخصيه اوجماعيه ، تهدف الى اعطاء للماده الاوليه مختلف الاشكال قصد انتاج اداه ما التي بدورها تكون مرتبطه بالطابع التقليدي المعروف.

من اين اتت اداه ما قبل التاريخ :

لقد تنجم عن اداه ما قبل التاريخ قيمه اثريه سيئه للعلم الذي تنتمي اليه الا وهو ما قبل التاريخ اذا ما انفصلت عن محتواها الاثري ومحيطها الجيولوجي وكذا جمعها او التقاطها بطرق منهجيه وعلميه لكي تصبح قابله للتسجيل المعمول به في هذا الميدان. لذا، لكل نوع من المواقع الاثريه وطبقا للاهداف المسطره ، يجب

الأخذ بعين الاعتبار طريقه خاصه لاجراء عمليه الحفر.

* - قد نعثر على مجموعه حجرية مندرجه في سلسله طبقيه طويله غنيه بالمحتويات الاثريه.
* - قد نعثر على مجموعه حجرية في وسط مفتوح أي على السطح.

* - قد نعثر على مجموعه حجرية مدفونه بطبقه جيولوجيه بعدما طرأ على المحتوى الاثري نوع من التحويل من مكانه الاصلي.

* - قد نعثر على مجموعه حجرية بمكانها الاصلي في طبقه جيولوجيه بدون تحريك البقايا أي منذ تركها بالموقع من طرف انسان ماقبل التاريخ.

* - قد نعثر على مجموعه حجرية في مكان مغلق مثل الاكواخ ، الملاجئ ، مراكز الدفن.

اما فيما يخص الطريقه الاساسيه التي يجب اتخاذها عند محاوله معرفه من اين اتت الاداه ، فالواجب على هذا التساؤل يكمن في البحث وتعريف علاقات الاداه والمحيط الحالي الذي توجد فيه.

- 1 - تسجيل المعطيات اثناء الحفر.
 - 2 - اخذ مختلف طرق التسجيل خاصه منها الصور.
 - 3 - وضع خطه عمل منهجيه علميه قياسيه واجراء عمليات استكشافيه على المحطات الاثريه.
- و على هذا الاساس ، يجب من خلال هذه العناصر الاخذ بها لاحصاء المعطيات التي نرجو الحصول عليها ، ثم الاهداف المنتظره من هذه المعطيات وكذا العمليات التي يمكن اتخاذها فيما بعد.
- وجمله القول ان وجود اداه ماقبل التاريخ تعد من البقايا ذات الاهميه الكبرى ، اما وضع ترتيب مواصفاتها التاريخيه فتعبر من النتائج الرئيسيه الهامه.

ماذا يمكن ان تقدم لنا :

وجدت الاداه طوال فترات ما قبل التاريخ ، وبالتالي يعتبر هذا الهيكل المعدني من بين البقايا الرئيسيه والوحيدته التي تشهد على وجود بصمات لفته ماقبل التاريخ في العالم القديم ولذا يجب على الباحث ان يحتفظ على هذا اللقي بكل حذر مع مرعاة كل العوامل التي يمكن ان تنجم عليه. فاذا وجدنا افواجا من الشعوب البيدائيه بمنطقه ما تنتمي الى احدى فترات ما قبل التاريخ بدون القيام بتشظيه ماده الاوليه المتوفره لديهم ، فإن خطوط تفسير اثبات وجودهم تبقى ضئيله جدا.

اما اذا وجدت الادوات الحجريه بنسبه معتبره بموقع ما ، فهذه الوفرة تعد من العلامات الرئيسيه للباحث الاثري . هي تضعف له امكانيات عمليات الاستكشاف لمختلف المواقع الاثريه المجاوره او البعيده ، وبالتالي يستطيع الحصول على بعض النماذج الهامه التي بمثابته يتمكن من اجراء عمليات احصائيه للادوات.

فيما يخص ظاهره وجود اداه بمفردها معزوله عن محتواها الاثري العام فهذا يؤدي حتما الى عدم فهم الوجه الثقافي المنتيمه اليه بحجه ضعف قاعدتها الاثريه الكلية. واخيرا نستطيع القول كذلك انه من المستحيل ، طبقا للدراسات الحديثه في هذا المجال ان نقوم بدراسه حقيقه وعلميه اذا مالم تتوفر لدينا صورته اجماليه او شامله عن سلسله المراحل العمليه للصانع عند انجاز مجموعاته الصناعيه.

كيف يمكن دراسه مجموعه حجريه :

للقيام بدراسه مجموعه حجريه ، يجب ان تكون المنهجيه المتبعه موضوعيه وفعاله ومهما كانت الطريقه المتخذة

للتحليل ، فان الخطه يجب ان تقوم على استعمال تعبير سهل يفهم من قبل جميع الاختصاصيين.
وعلى هذا الاساس يصبح من السهل تعريف مفاهيم المصطلحات التي يتناولها علم ما قبل التاريخ وللذين تدرس لهم فتره ما قبل التاريخ. فالمصطلح المستعمل اذا يكون في هذه الحاله دقيق التطبيق خالي من كل غموض.

مفهوم المصطلح الاثري :

يعتبر عنصر الاداء في ميدان ما قبل التاريخ نص المحتوى الاثري في حد ذاته ، بينما العلامه المميزه ودورها في هذا المجال تبقى كدلاله كرونولوجيه.

والملاحظ ان اغلبيه القطع التي ترجع الى مرحله ما قبل التاريخ لم تؤدي وظيفتها الرئيسيه التي خصت بها ، بينما المصطلح الذي اعطى التصنيف لبعض الادوات فقد مشوه معنى ومحتوى الاداء. اكثر من ذلك نواجه حاليا تغيير مستمر في العبارات و المصطلحات من سنه الى اخرى وحسب المكان الذي استعمل فيه وكذا الجانب التقليدي المعروف والمتمثل في اعطاء اسم الموقع لبعض انواع الادوات مثل : ورقه سوليتير ، الذبيه المغربيه ، الاداء العاتريه

هذا ما ادى الى غموض اكثر وبالتالي فصل البقايا الحجريه من محتواها الاثري الاصيل.

وبدون شك ، يتمثل الخطأ الرئيسي في البدايه في اتباع منهجيه تهدف الى التنميط بدلا من الجانب المورفولوجي القياسي. اما الترتيب القائم على النمط التكنولوجي فيكون منطقي الى حد كبير ، غير انه يصبح عاجز وغير ثابت عند محاوله تعريف وظيفه الادوات .وبهذه الاعتبار يمكن تحسين مفاهيم مختلف المصطلحات في ميدان اثار ما قبل التاريخ الا اذا اتخذت الاتجاه التالي :

- 1 - ضبط الجانب المرفولوجي التحليلي دون مراعات الفتره الزمنية والواجه الثقافيه واعطاء اكثر اهميه ودقه للطابع التكنولوجي للبقايا الاثريه التي تم العثور عليها في شتى المواقع.
- 2 - تسليط الضوء على الجانب التجريبي للمعطيات المحدده الميزة التكنولوجيه.

Résumé

L'essai de notre travail résume en quelque sorte la conception de l'examen analytique des diverses méthodes utilisées par l'étude de l'outillage préhistorique .

Cet exposé a donné lieu à une série de réflexion sur l'intérêt d'élaborer une démarche méthodologique dynamique orientée vers la morphotechnologie et montrer toute le bénéfice que l'on pouvait retirer de l'attitude de l'artisan envers la stratégie d'acquisition en matière première jusqu'a l'abandon de l'outil.

L'établissement de ces bases référentielles indispensables à l'interprétation des données vise à une meilleure compréhension de l'identité de la culture matérielle, voire le mental des différents groupes ethniques .

ملخص :

ينحصر عملنا هذا في مفهوم مختلف التحاليل للطرق المستعملة عند

دراسة البقايا الأثرية لفترة ما قبل التاريخ .

لذا ، كانت مساهمتنا تكمن في طرح بعض الأسئلة الرئيسية لترتيب طريقة منهجية علمية مركزة على الجانب المرفولوجي و التكنولوجي ، بالتالي توضيح الفائدة التي يمكن استنباطها من تقرب طبيعة الصانع عبر استراتيجية تمويل المادة الأولية إلى ترك الأداة.

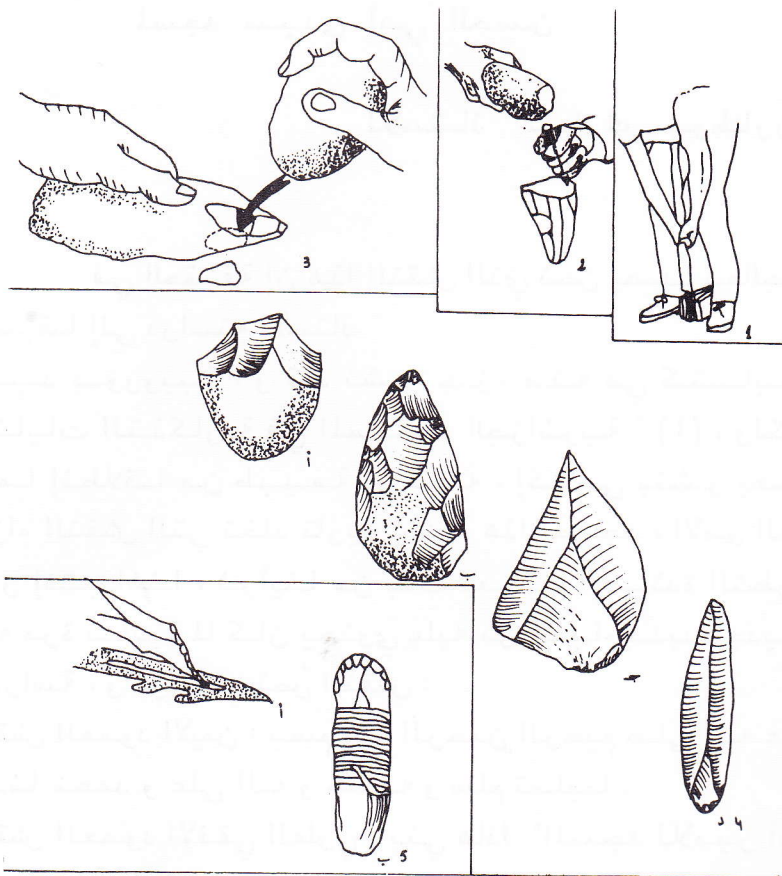
وعلى هذا الأساس ، يسمح بإقامة هذه القواعد النموذجية الأساسية لتفسير المعطيات فهم حسن لهوية الثقافة المادية وكذا ذهنية مختلف الأفواج البشرية القديمة.

قائمة المراجع

- BALOUT (L.),1965. _ La préhistoire.Leçon inaugurale.Bulletin du Muséum National d'Histoire Naturelle,t.37,n°2,29p.
- BORDES (F.),1961._ Typologie du paléolithique ancien et moyen .Publication de l'institut de préhistoire de Bordeaux,mém.1 ,Delmas, Bordeaux.
- BORDES (F.),1970. _ Observations typologiques et techniques sur le Périgordien supérieur de Corbiac (Dordagne).C.R.S.M de la S.P.F, t.67,p.105.113.
- CAMPS (G.), 1974. _ Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara.Paris, Doin, 374p.
- DAUVOIS(M.),1976. _ Précis de dessin dynamique et structurel des industries lithiques préhistoriques. Fanlac,Périgeux,263p.
- INIZAN (M.L),ROCHE(H.),TIXIER(J.),1980. _ "Préhistoire de la pierre taillée : terminologie et technologie".Cercle de Recherches d'Etudes Préhistoriques.
- JULIEN (M.),1992. _ Du fossile directeur à la chaîne opératoire. Evolutio de l'interprétation des ensembles lithiques et osseux en France In la préhistoire dans le monde sous la direction de J.Garanger : Paris,P.U.F.(Nouvelle Clio) : 163.193.
- LEROI-GOURHAN (A.),1943. _ Evolution et techniques I: L'homme et la matière. Paris, Albin Michel.
- LEROI-GOURHAN (A.),1964-65. _ Le geste et la parole I : Technique et langage. Paris, Albin Michel.

LEROI-GOURHAN (A.), 1982. _ Interrogation directe et interrogation indirecte des données de fouille. Séminaire sur les structures d'habitats : Collège de France, Paris, Ethnologie préhistorique L.A.275.

TIXIER(J.), 1978. _ Notice sur les travaux scientifiques.
Université de Paris x, Nanterre.



شكل 1 - تشظية بعض المجموعات الصناعية ووظيفتها

- (1) عملية الطرق بالضغوط
- (2) بأدات وسطية
- (3) المباشر (حجر على حجر)
- (4) أدوات حجرية (أ- شوبر، ب- أدوات ذات الوجهين، ج- مدببة لوفالوازية، د- نصلة)
- (5) وظيفة بعض الأدوات: أ - للحز، ب - للمشط